

فنون الإنسان في عصور ما قبل التاريخ

سميت هذه العصور بعصور ما قبل التاريخ نظراً لعدم معرفة الإنسان الكتابة والتدوين فيها، فقد خلت من الوثائق التاريخية المكتوبة أو المدونة التي تعتبر من أهم مزايا العصور التاريخية، وقد شغلت عصور ما قبل التاريخ هذه فترة زمنية طويلة جداً في حياة الإنسان تعادل حوالي 98% من حياة البشرية كلها. وتمتد من أول ظهور للجنس البشري على سطح الكرة الأرضية قبل مليون أو حوالي مليوني عام كما تشير إليه أحدث الاكتشافات حتى أقدم ظهور للكتابة واستخدامها في التدوين في حوالي منتصف الألف الرابع ق. م ، وقد اتفق أغلب الباحثين على تقسيمها إلى فترتين حضاريتين متميزتين إحداهما عن الأخرى بسبب حدوث بعض الاختراعات والتغيرات في طبيعة فنونه وهما:

1- مرحلة العصر الحجري القديم.

2- مرحلة العصر الحجري الحديث – المعدني.

وسنقدم دراسة تفصيلية لفنون الإنسان في العصر الحجري القديم في الفصل الأول على أن نعقبها بدراسة شاملة لفنون الإنسان في مرحلة العصر الحجري الحديث – المعدني اللاحقة في الفصل الثاني.

فنون الإنسان في العصر الحجري القديم:

سكن الانسان في هذا العصر الموغل في القدم في اماكن متفرقة من العالم ومنها: بلاد وادي الرافدين، وقد عاش في صراع مستمر وقاسي مع عوامل الطبيعة المختلفة. وتمكن على الرغم من بساطة إمكاناته ان ينتصر في هذا الصراع الرهيب، وان يصنع الانجازات والاختراعات الأولى في مسيرة الحياة البشرية.

تركز سكن الانسان حينذاك في المناطق الجبلية معتمداً على ما وفرته الطبيعة بسخاء من كهوف وملاجئ صخرية لتكون مقرات ومأوي تحميه من شدة البرد وكان يعتمد في غذائه على صيد الحيوانات وجمع الفواكه والنباتات البرية أي أنه كان يجمع القوت ولا ينتجه بيده

فالزراعة والتدجين هما بكل تأكيد من اختراعات انسان العصر الحجري الحديث اللاحق وبناء على ذلك أطلق على هذا العصر عصر جمع القوت.

صنع إنسان هذا العصر آلاته وأدواته من الحجارة بشكل فؤوس صغيرة كمثريه الشكل ذات نهايات مدببة استخدمت في إنجاز متطلبات حياته اليومية ومن هنا جاءت تسمية هذه العصور بالعصور الحجرية، كما استخدم جلود الحيوانات كملايس له لإتقاء البرد، واستفاد من لحاء الاشجار واغصانها والثمار الطبيعية في عمل آنية له.

يمكننا ان ترجح ظهور أولى بذور الديانة في الحقبة المتأخرة من مرحلة العصر الحجري القديم بدليل ما عثر عليه من تماثيل جسدت الفكرة الأولى لتقديس قوى الخصب والتكاثر في أواخر هذا العصر وقد عرفت بـ (الآلهة الأم) وأشهرها تمثال فينوس ولندروف، مما يؤيد وجود نواة العقيدة التي شاعت بعد ذلك في مجتمعات العصر الحجري الحديث الزراعية، وفيما عدا ذلك لا يمكننا أن نلمس أي تأثير للشعور الديني في طبيعة فنون الإنسان في هذه المرحلة. فقد كان للعامل الاقتصادي المتمثل بصراع الإنسان مع الحيوانات من أجل اصطيادها باعتبارها المورد الهام والأساسي في غذائه، دور كبير في تغطية سقوف وجدران الكهوف والملاجئ الصخرية برسوم ومنحوتات كانت دائماً مثاراً للإعجاب والدهشة بأناقته وروعته الفنية إذا ما قيست مع إمكانات الإنسان المتواضعة.

على الرغم من عدم العثور حتى الآن على مثل هذه الإنجازات الفنية من هذا العصر في بلاد وادي الرافدين حتى الآن، وهي المساحة التي يهتم هذا الكتاب بدراسة فنونها وشهدت جميع إبداعات الإنسان القديم الفنية في العصور اللاحقة، فلا بأس أن نقدم في هذا الفصل دراسة استعراضية شاملة لفنون الإنسان في هذا العصر، معتمدين في ذلك على نماذج فنية تقع في أماكن أخرى من العالم القديم إتماماً للفائدة وبقصد تسليط الأضواء على أقدم نشاط فني عرفه الإنسان.